

لا إيمان لمن لا أمانة له

د. محمد توفيق رمضان البوطي

أما بعد فيا أيها المسلمون يقول الله جلَّ شأنه في كتابه الكريم:

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]

ويقول جلَّ شأنه: [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ

شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ]

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"

أيها المسلمون: هاهي ذي أيام رمضان قد آذنت بالانتهاء، ضيف حلَّ بنا الأيام المنصرمة ولم يبقَ

له سوى يومان أو ثلاثة، ثم يمضي مرتحلاً ليغيب عاماً ويعود ضيفاً يجل على الناس بموائد كرم الله عزَّ

وجل وإحسانه، فهنيئاً لمن صام وقام، وهنيئاً لمن تبتل وذكر واستغفر، هنيئاً لمن جعل هذا الشهر منعطفاً

في حياته فأقبل فيه بعد إدار، وأصلح فيه بعد فساد، واستقام فيه بعد اعوجاج، أقبل فيه على الله إقبالاً

صادقاً فاكسب أعظم غنيمة في الدنيا ألا وهي صفة التقوى، وتعني هذه الصفة وتعني هذه الصفة

الوقوف عند حدود الله بالتزام طاعته واجتناب معاصيه، وجنى العظيم من الثمرات ومنها: غفر له ما

تقدم من ذنبه، وما أعظمها من غنيمة أن يغفر الله ما تقدم من الذنب ما اجتنبت الكبائر، وما لم يكن

فيها حقوق للعباد، وقد تغتفر الكبائر أيضاً إذا صحت التوبة من العبد والندامة؛ إذ قال ربنا تبارك

وتعالى: [وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى]

أيها المسلمون: لقد ربط ربنا تبارك وتعالى بين الصوم وصفة التقوى، أي أن الثمرة التي يجنيها

العبد هي هذه الصفة العظيمة وإذا أردنا أن نترجم هذه الصفة بصورة سلوكية، فإننا نستطيع أن نقول:

أن يكتسب الإنسان من صومه حسن الخلق، وحسن الخلق حجر الزاوية في ديننا، والثمرة التي ينبغي أن تتحقق في سلوك الإنسان من صلاته وصومه وزكاته وحجه، فالصوم ليس مجرد حرمان من الطعام والشراب، الصيام تربية، الصيام إيقاظٌ لمشاعر مراقبة الله عزَّ وجل في القلب ليسمو صاحبه إلى الاستقامة إلى التقوى إلى الأمانة، أما قال النبي: **"لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له"**، فهناك تلازم بين الدين والخلق الحسن، بين أركان هذا الدين وبين الاستقامة السلوكية، أن أصلي في المسجد وأؤدي جاري، أو أن الصلاة في المسجد مجرد نفاق مجرد مظهر لا قيمة له ولا رصيد له، أن أكون في الصف الأول في المسجد وأغش في معاملتي، وأكذب على الناس وأخون في الأمانة، أي دين هذا وأي صلاة هذه وأي صيام هذا إذا لم يثدني إلى الخلق الحسن مع الآخرين بدأ من الخلق الحسن مع الله بتقواه ومخافته والوفاء له سبحانه وتعالى إزاء النعم الجليلة التي أكرمنا الله عزَّ وجل بها إزاء الأمانة التي عهد إلينا بها؟! أي صلاة وأي صيام إذا لم تكن هذه العبادة قد ارتقت بنا إلى السلوك القويم إلى الخلق السليم إلى الأمانة إلى حسن التعامل؟! أي صلاة وأي عبادة هذه فيمن يعق والديه ويقطع أرحامه؟! لا قيمة لهذه العبادة إذا لم تنتج فيك خلقاً يسمو بك إلى البر، يسمو بك إلى الإخلاص، يسمو بك إلى الأمانة، يسمو بك إلى الصدق، يسمو بك إلى حسن التعامل مع الآخرين. لاحظوا التلازم بين الإيمان وبين حسن الخلق في قوله سبحانه

[وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا]

- حتى لو كان الوالدان كافرين، فإنك مكلف برهما وحسن معاملتهما فيما لا يتعارض مع عقيدتك ودينك - **[وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ]** - امش في طريق التائبين الراجعين إلى الله الصادقين مع الله - **[إِنَّهُمُ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ]** لاحظوا التلازم بين السلوك القويم والأخلاق السليمة ووبين أثر الرقابة لله عزَّ وجل والشعور بهول الموقف بين يديه عزَّ وجل. هذا هو الذي يدفعك إلى حسن الخلق، وهذا الذي تنميه فيك مخافة الله عزَّ وجل ومحبه والشعور بهول الموقف غداً بين يديه عندما تقف بين يديه فيقول **[وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ]** يسألك عن بر والديك، يسألك عن حقوق المتعاملين معك،

يسألك عن حقوق أرحامك، نعم واسمع وصية لقمان "يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ" أين تريد أن تخفي معصيتك؟ من تريد أن تخدع؟ من؟ أنت تتعامل مع الله. ظاهر المعاملة مع الخلق لكن حقيقة المعاملة أنها مع الله عز وجل، فأنت عندما تبر والديك تؤدي واجباً دينياً، وأنت عندما تصدق في المعاملة تؤدي مسؤولية دينية، وأنت عندما تكون أميناً في معاملتك تؤدي واجباً دينياً، سيسألك الله عنه نعم قد تحاسب عليه في الدنيا هنا وقد لا تحاسب، ولكن لا مفر من المسؤولية بين يدي الله "يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ - التكبر على الناس خلق ذميم، خلق سيء، خلق يهان صاحبه عند الله عز وجل - [وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ* وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ] لاحظوا التلازم بين المعنى الإيماني والمعنى السلوكي، بين الأخلاق ومراقبة الله عز وجل وبين العبادة، ويقول سبحانه: [وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] ارجعوا إلى محاكمنا وانظروا في الخلافات التي فيها، لا شك أن فيها ظالماً ومظلوماً، ظالم يرد أن يأكل حق الآخرين ومظلوم قد اعتدي عليه وصار حقه في بطن الظالمين [وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ] قد تنجو في المحكمة، وقد تستطيع أن تخدع القضاة أو أن ترشيهم، ولكن هل يمكن أن تفلت من قبضة رب العزة جل شأنه [وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ]

[وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] - حقوق اليتامى أين هي ؟ ضيعنا الأمانة وحننا الحقوق -

[وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ] [وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ] [وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا] ألم يقل الله سبحانه: [وَيَلِ لِّلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ]

أجل أقول لا دين لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا أخلاق له، ولا يمكن للأخلاق أن تسير في مجتمع لا دين فيه. إن أشد أنواع الجرائم خطورة هي هناك في الغرب حيث يتصور الناس من خلال سطوة

القانون والمراقبة أنهم على أخلاق. إنها أخلاق مصلحية، إنها أخلاق اقتصادية، وليست أخلاقاً حقيقية، إنها أخلاق نفاق ليستطيع بها أن يصل إلى مقصده، فإذا اصطدم مقصده مع تلك الأخلاق رمى تلك الأخلاق تحت قدميه وبحث عن المصلحة التي يتوصل إليها، وما الذرائعية إلا مظهراً من مظاهر النظرية الغربية في الأخلاق.

وبعد أيها المسلمون: قيمة عبادتنا بما نجنيه من الأخلاق القويمة من ثمرتها، بما تتحصل لدينا من أخلاق سوية، من أمانة، من معاملة حسنة، واستقامة، من نفوس تترفع عن الحرام، وعن أن تمد يدها إلى حقوق الآخرين، أو أن تمد أعينها إلى أعراض الآخرين.

وبعد فالجرح عميق، والحديث في هذا مهم ولكن رائحة الموت ودخان الدمار والقذائف لا تسمح لي أن أستمر في الحديث المهم والمهم جداً إزاء ما نرى ونسمع من أهوال ما ترتكبه دولة البغي والعدوان، تلك الدولة المسخ التي جمعت شراذم أشرار الخلق في الدنيا ليتربعوا على أرض ليست لهم، ولينبوا على تلك الأرض على حطام أمة وحقوق شعب دولة لهم. يعتدون على الأطفال والنساء والشيوخ والأبرياء بأعنف أنواع القذائف والطائرات والأسلحة المدمرة التي زودتهم بها دولة حقوق الإنسان، دولة العنف، دولة الدجل، الدولة التي ترعى العنف والإرهاب في العالم. أنا لا أعيب على أمريكا فهي دولة قامت يوم قامت على أشلاء شعب بكامله، أبادته لتبني لنفسها وجوداً، أجل هي أول دولة قصفت بالسلاح النووي ودمرت مدناً بكاملها، ثم تريد أن تلقن العالم دروساً في حقوق الإنسان في حقوق الشعوب، في حقوق الأمم وهي أول أمة تعتدي على حقوق الشعوب وعلى حقوق الأمم، وتلك الدول التي تمشي من خلفها لكي تساند تحت النفوذ الصهيوني العالمي ذلك الظلم الذي يقع على الشعب والأمة في فلسطين وغزة.

أنا لا أعيب على المجرمين، لا أعيب على الذئاب، لا أعيب على تلك الوحوش، ولكني أعجب من مؤسسات كانت تدعي العروبة والإسلام، تصمت صمت الموتى وقد كانت قبل سنتين تجمع تلك العصابة المسماة بأسماء مختلفة لا أريد أن ألوث هذا المنبر بأسمائها، تجمعهم لكي يتواصوا على محاربة هذا البلد، على حرمانه، على إرسال العصابات المجرمة إليه، على نشر الخراب فيه، هؤلاء الذين نعتب

عليهم، وهؤلاء أيضاً لا أعتب عليهم ؛ لأنهم موظفون في تلك الدائرة لم يثبتوا يوماً أنهم أصحاب قرار حر ن قرارهم مسترق لأسيادهم، لكنني أعتب على ذوي اللحى المزيفة الذين صمتوا الآن وقد كانوا يتداعون إلى الجهاد حتى أرسلوا إلى بلادنا عشرات الألوف ممن نشر في بلادنا الخراب والدمار، خلاف فيما بيننا نحن، نحن أولى بأن نخل خلافاتنا ؛ أما أن تستورد تلك البضائع النتنة إلى بلادنا فتدمر بلادنا فتحرمها من مصانعها ومن مؤسساتها الصحية ومن مؤسساتها التعليمية ومن الكهرباء ومن النفط ومن الاتصالات ومن كل ذلك، فتنتشر الدمار والخراب في هذا البلد باسم الجهاد هذا المستغرب أن يصمتوا الآن صمت الموتى، يصمتوا صمتاً كاملاً عن ما ترتكبه يد الإجرام والإرهاب في حق أهلنا في غزة، الأطفال يقتلون تحت الأبنية ن النساء الأبرياء وقد صمتوا تماماً، وأمس كانوا يتداعون إلى الجهاد في سوريا، سورية اليوم ينبغي أن تقف موقفها إزاء غزة ولكن كبلت يداها أجل كبلت يداها، وكلنا يعلم أن حرب غزة الماضية كان لسوريا فيه موقفه، وكان لسوريا فيها ما جعل الكثيرين يقروا فضل هذا الوطن وفضل هذا الشعب وفضل هذه الأمة، هذا الوطن وقف مع قضية الأمة دائماً، ولكن أريد له أن يقيد عن قضية الأمة ليشغل بنفسه عن قضايا الأمة ؛ ولكن مع ذلك نقول : لكل ليل فجر ينتهي عنده، ولكل أكذوبة فضيحة تفضحها، ولكل دجال نهاية ينتهي إليها، نقول ستنتهي الأسطورة وستتكشف الحقيقة، وعند إذن **[وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ]**

أقول: لا بد أن تنكشف الحقيقة، ولا بد أن يتساقط المجرمون وسيأتي ذلك اليوم **[وَيَوْمَئِذٍ يُفْرَخُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ]**

الخطبة الثانية

وأقول باختصار الفطرة مطلوبة ممن يملك كفايته وكفاية أهله ليوم العيد وليلته، من مطعم ومشرب ومسكن وكفاية، ومقدار الفطرة تجب الفطرة عن الرجل عن نفسه وزوجته وعمن أوجب الله عليه نفقتهم، أي أولاده الذين هم في كنفه ينفق عليهم، وكذلك أبويه إذا كانا في كنفه ينفق عليهما، والواجب على الابن أن ينفق على أبويه إن احتاجا، ثم مقدارها يساوي تقريبا اثنان كغ من غالب قوت البلد، وغالب قوت البلد الذي ينتفع به الفقير الآن هو الرز، اثنان كغ رز من أوسط أنواع الرز الذي يشيع استعماله

في مجتمعنا هو مقدار زكاة الفطر، وأنا لا أقدرها بقيمة فالسوق يصعد وينزل، يمكن أن تتوفر المادة ويمكن أن لا تتوفر وعند إذن يتذبذب سعر البضاعة بحسب السوق، لكن أقول المعيار اثنان كغ من أوسط أنواع الرز، تنفق على الفقراء والمساكين ممن لا تجب عليك نفقتهم، ويستمر وقتها إلى زوال شمس يوم العيد، لكن الأفضل والأولى أن ينفقها ليلة العيد، لأن ثمة خلاف في جواز بذلها بعد صلاة العيد، فالحديث يشير إلى أن من تصدق بها فهي صدقة عادية وليست بالواجب، بمعنى أنه ارتكب إثماً إذا قصر في أدائها في وقتها، ولا تقضى ولا تعوض، ارتكب الإثم وانتهى الأمر، وتوزع على الفقراء والمساكين، وهي بسيطة القيمة بسيطة المقدار لكنها عظيمة المعنى والدلالة، أما قضية الفدية أي من كان لا يستطيع الصوم بسبب المرض الذي لا يرجى شفاؤه أو الهرم أو من تجب عليه الفدية، مقدارها في مذهبنا نصف كغ رز لكل يوم، فالهرم يتصدق فدية عن صيامه بمقدار 15 كغ تكفي عن الشهر كامله .

خطبة الجمعة 2014-7-25

